تعليم اللغة العربيّة في الجامعات الألمانيّة

أ. د. هاشم الأيّوبي

حين نتكلم عن تعليم اللغة العربيّة ودراساتها في الجامعات غير العربيّة، فإنّنا نعني المرحلة المعاصرة في المقام الأوّل. وقد اخترتُ ميداناً لدراستي الجامعات الألمانيّة وجامعة إرلانجن-نورنبرغ تحديداً ؛ ذاك أنّي كنتُ أوّل طالب يُرسَل في منحة إلى ألمانيا لتحضير الدكتوراه، وكان العرف السائد أن يُرسل الطلاب اللبنانيّون المنوحون إلى فرنسا، والبعض القليل منهم إلى أميركا.

كان ذلك سنة ١٩٧٠ ومنذ ذلك التاريخ حين بدأتُ بتحضير الدكتوراه عند المستشرق الألمانيّ المعروف فولفديتريش فيشر رئيس قسم الدراسات الشرقيّة في الجامعة وأنا على اتّصال لم ينقطع بمراكز الدراسات العربيّة في ألمانيا.

ثمّ استُدعيتُ للعمل في الجامعة نفسها ما بين سنة ١٩٨٧ وسنة ٢٠٠٠ أستاذاً لتدريس العربيّة ثمّ باحثاً ومؤلفاً لكتاب من أربعة مجلدات حول اللغة العربيّة المعاصرة بالاشتراك مع المستشرقين فيشر ولانغر، وذلك باللغة الألمانيّة (١)، بالإضافة إلى معجمين تعليميّين: عربيّ- ألماني وألماني- عربي (٢).

خلال هذه الفترة من تدريس العربيّة لغير الناطقين بها، ساهمتُ مع زملاء لي ألمان وعرب بتشكيل جمعيّة أساتذة اللغة العربيّة في ألمانيا ، وكان أعضاء الجمعيّة يعقدون اجتماعات سنويّة لدراسة أوضاع تعليم العربيّة في ألمانيا وطرق تفعيله وتطويره.

أردتُ من هذا المدخل أن أقول إنّ البحث سيتكامل فيه النظريّ مع التطبيقيّ من خلال الممارسة والكتابة.

ولكن، قبل ذلك لا بدّ من أن نذكر أنّ هناك أكثر من مركز لتدريس العربيّة في ألمانيا:

- هناك ما يُدعى المعاهد العليا الأهليّة Volkshochschulen وهي تعطي دروسها غالباً بعد الظهر أو مساءً، ولا تمنح شهادات أكاديميّة، كما إنّ المدرّسين فيها ليس من الضروريّ أن يكونوا من حملة الشهادات العالية.
- هناك مراكز اللغات التابعة للجامعات وهي تدرّس اللغة العربيّة إلى جانب معظم اللغات العالميّة ضمن مستويات معيّنة
- وهناك مراكز إسلاميّة تابعة للمساجد أو مستقلّة تعطي دروساً في العربيّة لأبناء المسلمين المقيمين في ألمانيا.

إلاّ أنّ ما يعنينا، كما ذكرت، في بحثنا هذا الجامعات الألمانيّة الّتي تدرّس في معاهدها الشرقيّة اللغة العربيّة، مركّزاً على جامعة إرلانجن – نورنبرغ الّتي درستُ ودرّستُ فيها زمناً غير قليل.

إنّ معظم الجامعات الألمانيّة اليوم تضمّ معاهد للدراسات الشرقيّة يتخصص فيها الطلاب في اللغة العربيّة وآدابها وفي الدراسات الإسلاميّة. وقد يختلف اسم المعهد من جامعة لأخرى. وفي الفترة الأخيرة، ومع انفتاح الدول بعضها على بعض وتعاظم الدور الاقتصادي وموقع الدول العربيّة النفطيّة في ذلك، لم يعد اهتمام الجامعات الألمانيّة محصوراً بالدراسات اللغويّة والتقليديّة، بل أصبح هناك توجّه للاهتمام بالقضايا السياسيّة والاقتصاديّة في العالم العربيّ ، فأُنشئت في الكثير من الجامعات مراكز وأقسام متخصصة بالعلوم السياسيّة والاقتصاديّة في دول المشرق العربيّ والإسلاميّ. وفي جامعة إرلانجن ترأس القسم السياسيّ فيها البروفسور توماس فيليب، بينما ترأس القسم الاقتصاديّ البروفسور شفيق بهادير، وهو من أصل تركيّ.

ولابدّ لنا، لتوضيح الصورة والهدف، من إلقاء نظرة ولو سريعة على تاريخ العربيّة في الغرب عموماً وفي ألمانيا بصورة خاصّة.

إنّ الاحتكاكات التاريخيّة بين الشرق العربيّ والغرب سواء أكان ذلك عن طريق المواجهات العسكريّة أو عن طريق التجارة والجوار والاختلاط، كانت سبيلاً لتعرّف كلّ طرف إلى لغة الطرف الآخر (٣). فالمفاوضات وتبادل الأسرى وفرض الشروط أو توقيع الهدن، كلّ ذلك كان بكلّ تأكيد يحتاج إلى معرفة بلغة الآخر أو إلى مترجمين من لغة إلى أخرى. وتبادل

الهدايا والمراسلات بين هارون الرشيد وشارلمان اللذين كان عندهما خطّة لمشروع عالميّ باعتبارهما أقوى رجلين في ذلك الزمان،كانت تحتاج إلى مترجم وكان هذا المترجم يهوديّاً يُدعى يعقوب (٤).

ثمّ إنّ وجود العرب في الأندلس لما يقارب الثمانية قرون وما تبع ذلك من احتكاك بالأوروبيين الّذين كانت الحضارة العربيّة الإسلاميّة تمثّل لهم قمّة ما يسعون إليه، كما إنّ التراث الفلسفيّ والدينيّ والطبّيّ والأدبيّ عند العرب الّذين كانوا في صلب الجغرافيا الأوروبيّة، كلّ ذلك جعل اللغة العربيّة تقتحم مراكز الثقافة والتعليم عند الغرب الّذي لم تكن فكرة " أوروبا " قد نضجت عنده تمام النضوج.

وبعد انتهاء الحروب الصليبيّة وهزيمة الإفرنج على أيدي الأيّوبيين والمماليك لم ينزع الغرب من رأسه فكرة الصراع وأضاف إليها خطّة الصراع الفكريّ والثقافيّ، فالتفتوا إلى دراسة القرآن الكريم وسيرة الرسول (ص) في محاولة للتشويه والتزوير بداية الأمر، وكانت الترجمة الأولى للقرآن الكريم من العربيّة إلى اللغة اللاتينيّة سنة ١١٤٣ (ترجمة روبرتوس) (٥)، وكانت الحروب الصليبيّة لم تنته بعد، بداية التعرّف الحقيقيّ إلى لغة القرآن الكريم، وإن لم يكن ذلك من باب حسن النوايا.

ثمّ إنّ دارسي التوراة في المعاهد اللاهوتيّة باللغة العبريّة توقّفوا عند التقارب الكبير بين العبريّة والعربيّة والسريانيّة وغيرها من اللغات الّتي أطلقوا عليها اسم اللغات الساميّة. وكان ذلك دافعاً جديداً لدراسة العربيّة وتعلّمها وتعليمها.

ولم يكن من السهل نزع سلطة اللاهوتيين الإنجيليين عن مراكز تدريس اللغات الساميّة في ألمانيا، على سبيل المثال، كما يذكر المستشرق المعاصر البروفسور هارتموت بوبزين (٦).

فمنذ عهود التأسيس الأولى للاستشراق في الجامعات الألمانيّة في أواسط القرن السادس عشر كانت مهمّة أساتذة اللغات الشرقيّة تركّز على تعلّم العبريّة وشرح التوراة بما تعنيه للآنجيليين بشكل خاصّ، وكان تعلّم وتعليم اللغات الأخرى ومنها العربيّة يأتي في مرتبة ثانية. ويذكر بوبزين كيف أنّ كرسيّ اللغات الشرقيّة في جامعة إرلانجن – نورنبرغ، والّذي انتقل إليها من مدينة بايروت كان يُشترط في من يشغله أن يكون لاهوتيّاً إنجيليّاً يهتمّ باللغات الساميّة. ومع الوقت بدأت الدراسات الإسلاميّة تأخذ مجراها في هذه الجامعة، وتحديداً عندما شغل هذا الكرسيّ المستشرق المعروف فريدريك روكرت (١٧٨٨- ١٨٦٦) وذلك بمرسوم من الملك لودفيج الأول، وكان روكرت يتقن لغات كثيرة منها العربيّة والفارسيّة وكان شاعراً باللغات الألمانيّة والفارسيّة والعربيّة. (٧)

ثمّ ازدهرت الدراسات العربيّة في جامعة إرلانجن مع يوسف هل الّذي عُيّن بموجب مرسوم ملكيّ بتاريخ ٢٤-٨-١٩١١. نال " هيل " الدكتوراه بأطروحة حول الفرزدق، وتابع بعدها اهتمامه بالأدب العربي، والشعر تحديداً. ومن تلاميذه الكاتب اللبنانيّ المعروف الدكتور عمر فرّوخ.

التطوّر الأساسيّ في تعليم العربيّة كان عندما استلم هانس فير (١٩١١ – ١٩٨١) وهو صاحب المعجم المعروف (عربي-ألماني). (٨)

ثمّ أخذت اللغة العربيّة والدراسات الإسلاميّة مكانتها المرموقة في عهد فيشر (١٩٢٨-٢٠١٣) الّذي استلم الكرسيّ في ٢٦-٥-١٩٦٤ لمدّة تزيد على ثلاثين عاماً.

تكتسب المعاهد الشرقيّة في الجامعات الألمانيّة شخصيّتها من خلال رؤسائها ، أي حسب اختصاص الرئيس واهتماماته. هكذا نرى معهد الدراسات الشرقيّة في إرلانجن يبلغ أوجه في عهد فيشر، لعلاقاته مع الجامعات العربيّة ولكونه صديقاً للعرب وللحضارة العربيّة والإسلاميّة، فانتعشت في عهده اللغة العربيّة وكثر الطلاب العرب وغير العرب الذين يتخصصون في اللغة العربية والدراسات الإسلاميّة.

إلى جانب العربيّة كانت تُدرّس التركيّة والفارسيّة بوصفهما لغتين إسلاميّتين ، وقد حاولت سنة ١٩٩٠ الملحقيّة الثقافيّة في سفارة الجمهوريّة الإسلاميّة في بون – يومها – أن تُقنع فيشر وبعض رؤساء المعاهد الشرقيّة في الجامعات الألمانيّة أن يعتمدوا الفارسيّة لغةً إسلاميّة أساسيّة، نظراً لتبدّل الأحوال، فأجاب فيشر، وكنتُ إلى جانبه،: عندما تصبح الفارسيّة لغة القرآن، نفكّر بالأمر.

بعد فيشر خلفه البروفسور أوتو جاسترو، وكان اهتمامه منصبّاً على اللهجات، فحصل تغيير كبير في البرامج وموضوعات المحاضرات، كما كان هناك تركيز على اللهجات الآراميّة في سوريا، خصوصاً معلولا وجبعدين وحول لهجات المسيحيين في العراق والتمايز بين لهجات بغداد عند الشيعة والسنّة والمسيحيين.

إنّ نجاح عمليّة تعليم العربيّة تحتاج

إلى فهم لنوعيّة الطلاب ومستوياتهم اللغويّة، كما تحتاج معرفة بأهمّ المبادئ التي يقوم عليها تدريس العربيّة مع مراعاة لاختلاف طبيعة اللغات وروحيّة تركيبها.

نوعيّة الطلاّب

- لجهة القوميّة: الأغلبيّة ألمان، وهناك أبناء عرب مقيمون في ألمانيا، كما إنّ هناك طلاّباً مسلمين غير عرب.
- لجهة غاية التعلّم:

أ – معظم الطلاّب هم طلاّب تخصص في اللغة والآداب العربيّة والعلوم الإسلاميّة

ب- البعض منهم يتخصص في العلوم السياسيّة أو الاجتماعيّة المتعلّقة ببلدان الشرق الأوسط وهم بحاجة للإلمام باللغة ىالعربيّة دون أن يتعمّقوا بالضرورة فيها.

ج- البعض الثالث طلاب لاهوت ولغات ساميّة كالعبريّة والسريانيّة ويريدون دراسة العربيّة للمقارنة

د- وهناك رجال أعمال أو سوّاح يريدون الألمام بعض الشيء بالعربيّة قبل التوجّه إلى بلدان عربيّة.

وأكثر هؤلاء يفضّل تلقّي دروس العربيّة في المعاهد الأهليّة لأنّها ربّما تناسب ظروف عملهم والمستويات الّتي يحتاجونها من اللغة.

إنّ معرفة هذه الأمور تساعد مساعدة فعّالة في طريقة تدريس العربيّة وتحديد المستويات الّتي يحتاجها الطلاّب وأساليب التدريس.

أيّة عربيّة ؟

كان السؤال، ولا يزال، أيّ عربيّة ينبغي أن تُدرّس في الغرب ؟

في فرنسا كان هناك اتّجاه كبير لتدريس اللهجات، وفي المقام الأول لهجات شمال إفريقيا، نظراً لأنّ العدد الأكبر من العرب المقيمين في فرنسا هم من شمال إفريقيا. وفي سنة ٢٠٠٠ كنتُ أستاذاً زائراً في جامعة ليون ٢ في فرنسا واشتركت في ندوة حول هذا الموضوع، وقلت رأيي الثابت الذي طبّقته في ألمانيا، بانّ العربيّة الّتي لا بدّ أن تُعتمد هي اللغة العربيّة الفصحى، مع تبسيط في طريقة العرض والتدريس.

إنّ الّذين يريدون من الألمان أو الأوروبيين أن يتعلموا ما يساعدهم على طلب وجبة طعام أو على السؤال: من أين الطريق، لا مشكلة عندهم في أن يتعلموا لهجة بلد عربيّ معيّن يريدون السفر إليه. ولكن عند الانتقال إلى بلد عربيّ آخر، عليهم تعلّم لهجة جديدة، وهكذا....

إنّه من السهل أن ندرّس الطالب غير العربيّ لغةً تتيح له أن يستطيع التواصل اللغوي والتفاهم في أيّ بلد عربيّ كان.

إنّ العربيّة الفصحى هي أداة التواصل المشتركة بين كلّ البلدان العربيّة، كما إنّها أداة التواصل مع التراث العربيّ والإسلاميّ الّذي تشكّل دراسته الهدف الأوّل عند الطلاّب المتخصصين من غير العرب.

من الخطأ أن نقول إنّ الطالب غير العربيّ لا يستطيع بالفصحى أن يتواصل مع الناس في بلد عربيّ، ذلك أنّه بمعرفة بعض المفاصل أو المفاتيح اللغويّة يتمّ تذليل معظم العقبات التي تعترض التواصل.

هنا على مدرِّس العربيّة أن يكون على إلمام بمعظم اللهجات العربيّة المعروفة اليوم ليُثبت أنّ المتكلّم بالفصحى الميسَّرة لا يجد صعوبة في محيط هذه اللهجات.

يمكن من حيث المبدأ تقسيم اللهجات العربيّة إلى أربع مجموعات كبيرة، مع العلم أنّ المجموعة نفسها لا تحوي لهجة واحدة معيّنة، ولكنّ ما بينها من تمايزات غير مستعصية على الفهم ضمن المجموعة الواحدة هذه المجموعات هي:

- لهجات بلاد الشام
- لهجات الجزيرة العربيّة
- لهجات بلاد النيل
- لهجات شمال إفريقيا

والتعابير اليوميّة الشائعة في مختلف هذه اللهجات تكاد تنحصر في الأمور الآتية:

التحيّة اليوميّة

إنّ تعبير: " السلام عليكم " أو" صباح الخير، مساء الخير " أو " مرحبا " يمكن التعامل به بين مختلف اللهجات وفي كلّ البلدان العربيّة.

- كيف الحال: يمكن أن يحلّ في كلّ البدان مكان: إز زيّك، شلونك، كيفك...

الاستفهام:

- بكم التفاح أو... تُفهم في كل البلدان وتغني عن: قديش، إيشقد...
- ما هذا ؟ بدل شوهيدا، إيه دا، أيش هي
- ما اسمك، بدل: شو اسمك، اسمك إيه ؟ شيسمك ؟
- أين (وقد تستبدل ب وين) تفهم في كل الهجات حتى التي تستعمل " فين "

أسماء الإشارة

- استعمال: " هذا، هذي " يُفهم بدل " دا، دي " أو " هيدا، هيدي "

- هؤلاء: يقابلها: هودي، هيدول، دول، هولي

الإشارة للمكان:

- هنا: مفهومة في كل الهجات، بدل: هوني، هِنا، هون
- هناك: بدل هونيك

النفي

- ما ادري، لا أعرف : معرفش، معرفشي، مدري

الوصل

- الّذي، الّتي: في العاميّات: اللي، إل..

إنّ هذه الأمور الّتي يعتبرها البعض عقبات ما هي إلاّ أمور بسيطة يستطيع دارس الفصحى أن يتجاوزها، أمّا العكس فغير صحيح، بمعنى أنّ دارس لهجة واحدة لا يستطيع أن يرقى إلى الفصحى، كما لا يستطيع بسهولة أن ينتقل بالفهم إلى لهجة أخرى.

لقد استمعتُ إلى مقابلة في الإذاعة السوريّة مع طالبات دانمركيّات كنّ قد درسن العربيّة في مصر، فسأل المذيع إحداهنّ: كيف وجدتنّ الإقامة في بلادنا ؟ فقالت له ممكن تتكلّم عربي؟ فأُرتج على المذيع المسكين لأنّه لا يتكلّم إلاّ العربيّة.

هذه المشكلة كانت تواجه الطلاّب الألمان الّين يدرسون العربيّة ويُرسَلون في منحة لقضاء سنة أو أقلّ أو أكثر في بلد عربيّ للتدريب اللغويّ، فالبعض من العرب الّذين يلتقونهم ومعظمهم من الطلا ب أو من المتعلّمين - وربّما أيضاً أنصاف المتعلّمين - يكلّمونهم بالإنكليزيّة أو الفرنسيّة تدليلاً على ثقافتهم، في حين يأتي هؤلاء ليتعلّموا العربيّة، والفصحى أو ما هو أقرب إليها في المقام الأوّل.

أمّا نسبة العرب الّذين لا يتقنون الفصحى فهي مع الأسف غير قليلة، وهذا عائد إلى مستوى التعليم ونسبة الأميّة عندنا. غير أنّ انتشار وسائل الإعلام المرئيّة والمسموعة والمكتوبة، والّتي يستعمل معظمها الفصحى، وإن يكن ذلك مع أخطاء أو مع مستويات غير راقية، إلاّ أنّها تبقى وسيلة مشتركة للتواصل بين العرب، ويمكن الاستفادة منها لتعليم العربيّة لغير الناطقين بها باعتبارها لغة وسطى ميسّرة يمكن تطوير قدرات مستخدميها إلى ما هو أفضل باتجاه الفصحى الراقية.

هذا في ما يتعلّق بمشكلة الطالب غير العربيّ وتعاطيه مع اللهجات العربيّة، ونعني بهذا الطالب الّذي يتخصص بالعربيّة وآدابها والعلوم الإسلاميّة. غير أنّ هناك طلاّباً يتخصصون بتوجيه من أساتذتهم باللهجات العربيّة وغير العربيّة في الدول العربيّة، ومن هؤلاء المهتمّين بعلم اللهجات والذين كرّسوا عمرهم وجهدهم لها البروفسور أوتو جاسترو الّذي خلف فيشر في رئاسة قسم الدراسات الشرقيّة في إرلانجن وتلميذه أرنولد فيرنر الذي أصبح أستاذاً في هايدلبرج، وكانت دراسة اللهجات وعلى وجه الخصوص لهجة معلولا الشغل الشاغل لهما. لهذه الدراسات أهدافها ووسائلها وطرقها الّتي هي الآن خارج نطاق بحثنا.

أمّاا لمشكلة الثانية والأهمّ فهي معرفة الفروقات اللغويّة والفهم التامّ لطبيعة اللغة العربيّة وخصائصها الدقيقة وطريقة عرضها إلى جانب معرفة باللغات الأوروبيّة وخصائصها ليقف على صعوبات التعلّم وكيفيّة تذليلها.

الأصوات

تتميّز العربيّة بأصوات لا وجود لها في اللغة الألمانيّة واللغات الهندو أوروبيّة واللاتينيّة.

فالحروف الحلقيّة (الحاء والعين) وكذلك المفخّمة (القاف والطاء والصاد والضاد والظاء)

تشكّل صعوبة في اللفظ عند الطلاب الناطقين بغير العربيّة والذين لا وجود لهذه الحروف في لغاتهم.

أمّا حرف (الخاء) فهو موجود في الألمانيّة، وحرف (الغين) يقابله في الفرنسيّة لفظ حرف (الراء) عند معظم الفرنسيين. أمّا حرفا (الذال) و(الثاء) فموجودان في الانكليزيّة.

إنّ المختبرات اللغويّة الحديثة ساعدت إلى حدّ كبير في التغلّب على هذه المشكلات النطقيّة، إلى جانب التدريب اللغويّ المباشر والسفر إلى الدول العربيّة والتكيّف مع هذه الحروف. وبدون شك تلعب موهبة اكتساب اللغات دوراً كبيراً في هذا الأمر. فقد رأينا بعض الطلاب الألمان والفرنسيين على سبيل المثال يلفظون العربيّة بما في ذلك الحروف التي مرّ ذكرها بشكل جيّد، كما لو كانوا عرباً، في حين أنّ البعض الآخر لم يتجاوز نهائيّاً هذه المشكلة.

الكتابة

صحيح أن هناك اتّجاهاً معاكساً لكتابة العربيّة، واللغات الساميّة، عن اللغات الأوروبيّة بأنّ الأولى تتّجه من اليمين إلى الشمال بعكس اللغات الثانية.

غير أنّ هذا الأمر لم يشكل صعوبة كبيرة، بل اعتبره البعض فنّاً جميلاً يقومون به.

وفي مقابلة مع المستشرق الألمانيّ المعروف ف. فيشر الّذي مرّ ذكره معنا، سُئل عن سبب اختياره العربيّة والعلوم الإسلاميّة ميداناً لتخصصه وتفرغه له، فروى أنّه كان فتى في مقتبل العمر، وكان ضمن شبيبة هتلر، كما كان كلّ الّذين في سنّه، وكان ذلك إلزاميّاً ؛ وقد وضعوا في أذهانهم أنّ الحضارة الجرمانيّة هي أرقى الحضارات، ولا حضارة توازيها. وكان يوماً يتصفّح كتباً في إحدى مكتبات مدينته نورنبرغ، وكانت عاصمة الحزب النازيّ فوقع على كتاب شدّ انتباهه بخطّه الجميل وسأل عنه فأجابه مدير المكتبة بأنّه كتاب عربيّ. قال في نفسه إنّ هذا الخطّ الرائع لا بدّ أنّه يعبّر عن حضارة رائعة، وقرر منذ تلك اللحظة أن لا يلتفت إلى مقولة حزبه العنصريّة، وأن ينصرف إلى دراسة العربيّة وآدابها والعلوم الإسلاميّة. (٩)

في الصّرف

هناك أمور مهمّة تعترض الدارس الأوروبيّ للعربيّة ولا بدّ من مراعاتها والإشارة إليها في عمليّة التعليم.

- المفرد والمثّنى والجمع

فاللغة الألمانيّة تحوي في المفرد: المؤنث والمذكّر والحياديّ أمّا العربيّة فليس فيها أكثر من المذكّر والمؤنّث والعربيّة تحوي المثّنى، وهذا الأمر يختلف تماماً في اللغات الوروبيّة عمّا هو في العربيّة. ففي العربيّة نقول :

" التلميذان مجتهدان

" التلميذان يدرسان "

بينما يكون الخبر أو الفعل بصيغة الجمع في اللغات الأوروبيّة مع المثّنى:

Die zwei Studenten sind fleissi

Die zwei Studenten studieren

وكذلك الأمر في الفرنسيّة والإنكليزيّة وغيرهما من اللغات الأوروبيّة. وإن سبقه العدد (اثنان) أي أنّ فعل المثّنى وخبره وصفته توازي الجمع في العربيّة.

والأمر نفسه مع الضمائر ومع أسماء الإشارة. فليس في اللغة الألمانيّة والأوروبيّة ضمير مثّنى كما هو الأمر في العربيّة، بل يُعبّر عن المثّنى بالجمع، وكذلك في أسماء الإشارة.

Die zwei Studenten studieren.

Sie sind fleissig

الطالبان – الاثنان – (يدرسون) (هم) (مجتهدون).

كذلك الأمر في اللغة الفرنسيّة:

Les deux homes travaillent

Ils sont serieux

الرجال (الاثنان) يعملون

هم جدّيّون

فالجمع يحلّ محلّ المثّنى في اللغات الأوروبيّة، بعكس العربيّة.

في النحو

يعتبر الدكتور عبدو الراجحي أنّ النحو هو العنصر الأساسيّ الذي تُبنى عليه عمليّة التعليم. (١٠)

ومن أهمّ القضايا النحويّة التي تواجه دارسي العربيّة من غير الناطقين بها:

أسماء الوصل وموقعها في الجملة :

من المعروف أنّ اسم الوصل يأتي بعد الاسم المعرّف، مثل:

أعرف الرجل (الّذي) يعمل

بينما لا يظهر اسم الوصل بعد الاسم النكرة، مثل :

أعرف رجلاً يعمل في الشركة.

بينما يأتي اسم الوصل في اللغة الألمانيّة واللغات الأوروبيّة بعد الاسم سواء أكان معرفة أو نكرة.

ففي الألمانيّة:

Ich kenne die drei Arbeiter ،die in der Firma arbeiten

Ich kenned rei Arbeiter ،die in der Firma arbeiten

أعرف العمّال الثلاثة الّذين يعملون في الشركة

أعرف ثلاثة عمّال (الذين) يعملون في الشركة

وكذلك في الفرنسيّة:

Je rencontre les travailleurs qui travaillent dans la firme

Je rencontre deux travailleurs qui travaillent dans la firme

التقيت العمّال الذين يعملون في الشركة

التقيت عاملين (اللذين) يعملان في الشركة

إنّ دارسي العربيّة من الألمان والأوروبيين يجدون غرابة في عدم استعمال اسم الوصل بعد النكرة، وهذا من الأمور التي يتمذ التركيز عليها في عمليّة التعليم لذلك يقعون غالباً في الخطأ عند استخدامهم لأسماء الوصل..

بنية الجملة

إنّ المفهوم الصحيح للّغة، أيّة لغة،

يقوم على مفهوم تركيب الجملة قبل أيّ شيء. فلكلّ لغة روحيّتها ومنطقها الخاصّ في التعبير وتركيب الجملة. وهنا يواجه الطالب غير العربيّ لغةً تختلف بتركيبها ونحوها عن لغته، فينبغي الالتفات إلى هذا الأمر وطرح بنية الجملة بشكل متدرّج واضح.

تبدأ الجملة العربيّة من البسيط، وتتنامى بشكل منطقيّ بنيانيّ يتلازم فيه التوسّع البنيويّ مع التوسّع الدلاليّ.

فهناك نوعان من الجملة في التعبير العربيّ، ومنهما ينبني النصّ بكامله.

١- الجملة الإسميّة:

وتتألّف من ركنين:

- المسند
- المسند إليه

الطقس جميل

(مسند إليه) (مسند)

في اللغة الألمانيّة واللغات الأوروبيّة لا بدّ من وضع (فعل الكون) بين المسند والمسنَد إليه (is-est-ist)

والأمر يبدو غريباً بادئ الأمر عند الطالب الأوروبي إذا قال: – le temp joli das wetter gut

ثمّ لا يعود الأمر غريباً إذا ما عرف أنّ منطق العربيّة في التركيب غير منطق لغته.

ثمّ تتنامى الجملة عن طريق إضافة أدوات في مطلعها، فيكون معنا على سبيل المثال:

(إنّ) الطقس جميل

تحمل الجملة مع (إنّ) ثلاثة تغييرات:

- التأكيد
- تغييرات في الإعراب (نصب المسند إليه ورفع المسند)
- ثبات في موقع (إن) في مطلع الجملة وعدم إمكانيّة التقديم والتأخير

ثمّ تدخل عناصر جديدة في الجملة إلى جانب المسند والمسند إليه وعلينا إيجاد المكان المناسب لها:

الطقس جميل (في لبنان)

وهنا نتكلم عن ظروف المكان وإمكانيّة التقديم والتأخير فيها:

- (في لبنان) الطقس جميل
- الطقس (في لبنان) جميل

ومع عنصر جديد (ظرف زمان) يصبح معنا:

- الطقس جميل (في لبنان) (في الربيع)
- الطقس (في الربيع) جميل (في لبنان)
- (في لبنان) الطقس جميل (في الربيع)

وهكذا تتوسّع الجملة ومع كلّ عنصر جديد تدخل دلالة جديدة وتركيب نحوي جديد. وبتعليم نظام الجملة المترافق مع شرح عمليّة الإعراب تسير عمليّة التعليم بتدرّج منطقيّ متكامل.

الإعراب

وهنا على المدرس أن يسير كما ذكرنا تدريجيّاً، ومع كلّ عنصر جديد يشرح دوره الإعرابيّ لأن الإعراب الّذي يعتبره الطلاب العرب مشكلتهم الكبرى، لم أجده بهذه الدرجة عند الطلاب الألمان، لا سيما أنّ اللغة الألمانيّة تعرف ظاهرة الإعراب، ففيها المنصوب والمجرور والمرفوع، وإن يكن ذلك يتعلّق بالأسماء دون غيرها.

الهوامش

(١) التركيب النحوي للغة العربيّة المعاصرة، صدر باللغة الألمانيّة، بالاشتراك مع فيشر ولانجر

Syntax der Arabischen Schriftsprache der Gegenwart: Hachem Ayoubi – Wolfdietrich Fischer – Michael Langer

(٢) صدرا عن دار الكتب العربيّة في بيروت ١٩٩٩

(٣) أبحاث عربيّة: إعداد د. هاشم الأيّوبي، مقالة بوبزين عن الاستشراق في إرلانجن وألمانيا (ص١١ وما بعد) دار جروس، طرابلس، لبنان ١٩٩٤)

(٤) من معجم (تاريخ العالم) ج ٤ ص ٢٦٧ باللغة الألمانيّة

Lexikon Verlag – Bertelsmann

(٥) جوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، تعريب عمر لطفي العالم، دار قتيبة، دمشق ط١ ١٩٦٦ ص١١-١٨

(٦) أبحاث عربيّة، مقالة بوبزين ص٢٤

(٧) من أهمّ المستشرقين الألمان،وقد ترجم قسماً من اقرآن الكريم إلى اللغة الألمانيّة، وتعدّ ترجمته أرقى ترجمة لجهة الأسلوب والبلاغة، ويقال إنّ الشاعر الكبير غوته هو الذي شجّعه على هذه الترجمة.

(٨) يعتبر معجم هانس فير من أهمّ المعاجم العربيّة – الألمانيّة، ويعتبر مرجعاً لغويّاً لأنّه يحرّك الكلمات وكذلك عين الفعل ويذكر جمع الكلمات.

(٩) مقابلة أجراها ظافر يوسف مع فيشر: أبحاث عربيّة ص٣٦٧

(١٠) من مقالة لعبدو الراجحي في الكتاب التكريمي لفيشر، إعداد محمود فهمي حجازي، مركز اللغة العربيّة، كليّة العرب، جامعة القاهرة ١٩٩٤

كتب ألمانيّة تدرّس العربيّة في جامعتي إرلانجن ولايبزغ:

- Lehrbuch des modernen Arabisch: Fischer–Jastro
- Lehrbuch des modernen Arabisch: Blohm– Reuschel–Samarraie
- Lehrbuch des modernen Arabisch: Krahl–Reuschel
- Syntax der Arabischen Schriftschprache deer Gegenwart: Hachem Ayoubi – Wolfdietrich Fischer – Michael Langer